الأسماء الحسنى المتعلقة بالصفات السلبية

بعد أن تكلّمنا عن مجموعة الأسماء الحسنى المتعلّقة بالصفة النفسية، والأسماء المتعلقة بالصفات السلبية الخمس، ننتقل للكلام عن مجموعة الأسماءِ الحسنى المتعلّقة بصفات المعاني السبع، وكل هٰذه الصفات كما ذكرنا سابقاً هي مِنْ صِفاتِ الكَمالِ للّهِ تعالى العشرين.

ونَقْصِدُ بصفاتِ المَعاني كلَّ صِفَةٍ قائِمَةٍ بذاتِ اللّهِ تعالى، وتَسْتَلْزِمُ حُكماً مُعَيَّناً له، كَصِفَةِ العلم مثلاً، فهي تَسْتَلْزِمُ أن يكون المُتَّصِف بها عَليماً... وصِفات المعاني لله كَثيرَةٌ، ولكنها تجتمع في سبع صِفاتٍ رئيسية مُعَيَّنَةٍ قام عليها الدليلُ التفصيليُّ مِن الكتاب وهي: العِلْمُ، والإرادةُ، والقُدْرَةُ، والسَمَعُ، والبَصَرُ، والكلامُ، والحَيَاةُ، وسَنَعْمَدُ إلى بيانِ معنى كلِّ صِفَةٍ مِن هٰذه الصِفاتِ، وذكر أدلّتها، والأسماء الحُسْنَى المتعلّقة بها.

أولاً: صفة العلم

هي صفة أزلية قائمة بذاته تعالى مِن شأنها كَشْفُ الأُمورِ والإحاطَةُ بها على ما هي عليه في الماضي والحاضر، وما ستكون عليه في المُسْتَقْبَل. فَعِلْمُ اللّهِ ﷻ شامِلٌ مُحيطٌ بكُلِّ شيء، إجمالاً وتفصيلاً، ظاهراً وباطِناً، لم يُسْبَق بِجَهْلٍ، فلا يجوز أن يُقالَ: إن عِلْمَهُ مُكْتَسَبٌ، أي ناشيءٌ عن نظرٍ واستِدْلالٍ، أو مُتَجَدِّدٌ بعد عَدَم، تعالى اللّهُ عن ذلك، وما وَرَد ممّا يُوهِمُ اكتِسَابَ عِلْمِهِ فَمُؤَوَّلٌ، كقولِهِ تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾ [الكهف: 12]، فَظَاهِرُ الآية يوهِمُ تَجَدُّدَ عِلْمِ اللّهِ، والمرادُ ـ واللّهُ أعْلَمُ ـ: ثم بعثناهُم ليظهَر لهُم مُتَعَلَّقُ عِلمنا، فتكون ﴿لِنَعْلَمَ﴾، بمعنى لِنُعْلِمَهُمْ، فاللّامُ للعاقِبَة، لا للعِلّة.

وعِلْمُ اللّهِ لا يَعْتَرِيه نقص ولا نِسْيَان، ولا يَتَقَيَّدُ بزَمانٍ ولا مَكَانٍ، ولا يُمْكِنُ أن يُخَالِفَ الوَاقِعَ، وعلمُه بالكُلِيّات كَعِلْمِهِ بالجُزئيّات، والشُهُودُ والغَيْبُ لَدَيْهِ سَوَاءٌ، والقريبُ والبَعِيدُ، والقَاصِي والداني سَوَاءٌ. فعِلْمُ اللّهِ يُشْرِقُ على كل

شيءٍ فَيُجَلِّي بَواطِنَهُ وخَوَافِيَهُ، ويَكْشِفُ بداياتِهِ ونهاياتِه، ويَكْتَنِهُ ذاتَه وصِفَاتِه.

دليلُها: أما الدليلُ النَقْلِيُّ فآياتٌ كثيرة وَرَدَت في كتابِ اللَّهِ تعالى، منها قوله تعالى: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف: 89]، وقولُه تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ [فصلت: 47]. وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: 255]، وقوله تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: 59]، وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾ [التغابن: 4].

وأمّا الدليلُ العَقْلِيُّ لصفة العلم للَّهِ تعالى فهو ظاهِرَة الإتقانِ البَديع، والإحْكام الدَّقِيقِ في الأَنْفُسِ والآفاق، فما يبدو في الكون من نظام وإتقانٍ وإحكام ما هو إلّا بُرْهَانٌ ساطِعٌ على شُمولِ علمه، وكمالِ حِكمته سُبْحَانه وتعالى، وأيضاً، لو لم يَتَّصِف اللَّهُ سبحانه بالعِلْم، لَلَزِمَ عَليهِ نَقيضُهُ، وهو الجَهْلُ، وذلك يُنافي كمالَ الأُلوهِيَّةِ.

ومن الأسماءِ الحسنى التي تعود إلى صِفَةِ العلم لِلَّهِ تعالى: (العَليمُ، اللَّطِيفُ، الخَبيرُ، الشَّهيدُ، الحَسِيبُ، المُحْصِي، الوَاجِدُ، الحفيظ، السَّمِيعُ، البصيرُ، الرَّقِيبُ، المُهَيْمِنُ، الواسِعُ، المُؤْمِنُ)، وقد تقدم الكلام عن بعضها، وسنشرح الباقي منها.

87 ـ العَليمُ

معنى العليم

هو ذو العِلْمِ الكاملِ الشامِلِ المُحيط بكلّ شيء، فلا تخفى عليه خافيَةٌ ولا يَغيبُ عن علمه شَيْءٌ في الأرضِ ولا في السماء، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر: 86]، وقد ورد هٰذا الاسم الكريم في القرآن في (162) موضعاً.

أقوال العلماء

يقول الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الشافعي في كتابه «المقصد الأسنى»: (معنى العليم أنه يُحيطُ علماً بكلِّ شيءٍ ظاهِرِه وباطِنِه، دقيقِهِ وجلِّه، أَوَّلِه وآخِرِهِ، عاقِبَتِهِ وفاتحته، وهٰذا مِن حيثُ الوضوحُ والكشفُ على أتمِّ ما يمكنُ فيه، بحيث لا يُتَصَوَّرُ مشاهَدَةٌ وكَشْفٌ أظهرَ منه، ثم لا يكونُ مُسْتَفاداً مِن المعلوماتِ، بل تكونُ المعلوماتُ مُسْتَفادَةً منه.

للعبدِ حَظٌّ من وَصْفِ العَليمِ لا يكادُ يَخْفَى، ولكن يُفارِقُهُ علمُ اللَّهِ تعالى في الخواصّ الثلاث:

(أحدها): في المعلومات في كثرتها، فإن معلوماتِ العَبْدِ وإن اتّسَعَتْ فهي مَحْصُورَةٌ في قِلَّةٍ، فأنَّى يناسِبُ ما لا نهايةَ له.

(الثاني): أن كَشفَهُ وإن اتّضَحَ فلا يَبْلُغُ الغايَةَ التي لاَ يكمُنُ وراءها، بل تكونُ مشاهَدتُه للأشياء كأنه يراها مِن وراء سَتْرٍ رَقيقٍ، ولا تُنْكِرَنَّ تَفاوُتَ درجاتِ لكشف، فإن البَصيرَةَ الباطِنَةَ كالبَصَرِ الظاهر، وفرقٌ بين ما يتّضحُ في وَقْتِ لإسفار، وبين ما يَتَّضحُ وقتَ ضَحْوَةِ النهار.

(والثالث): أن علمَ اللَّهِ تعالى غيرُ مُسْتَفادٍ من الأشياءِ، بل الأشياءُ مُسْتفادَةٌ من علمه، وعلمُ العَبْدِ بالأشياء تابعٌ للأشياء وحاصِلٌ بها، فإن اعْتَاصَ عليك فهمُ هٰذا الفرقِ فانْسُبْ عِلْمَ متعلّم الشطرنج إلى علم واضِعه، فاعلم أن الواضِعَ هو سَبَبُ وُجودِ الشَّطْرَنج، ووجودُ الشطرنج هو سَبَبُ عِلْمِ المُتعلِّم، وعلمُ الواضِعِ سابِقٌ على الشطرنج، وعلمُ المتعلِّم مَسْبُوق ومتأخّر، فكذلك علمُ الله تعالى بالأشياء سابق عليها وسَبَبٌ لها، وعلمه بخلافِ ذلك.

وشرف العَبْدِ سَبَبُه العِلمُ مِن حيث إنه من صَفاتِ اللَّهِ تعالى، ولكنَّ العِلْمَ الأَشْرَفَ ما معلومُه أشرفُ، وأشرفُ المعلومات هو اللَّهُ تعالى، فلذلك كانت معرفةُ اللَّهِ تعالى أفضلَ المعارفِ، بل معرفة سائِرِ الأشياءِ أيضاً لها مَعْرِفةٌ لأفعالِ اللَّهِ تعالى، أو معرفةٌ للطريقِ الذي يقرِّبُ العَبْدَ مِن اللَّهِ، أو الأمرِ الذي يَسْهُلُ به

الوُصُولُ إلى مَعْرِفَةِ اللَّهِ والقُربِ منه، وكلُّ معرفةٍ خارجةٌ عن ذلك فليس فيها كثيرُ شَرَفٍ). انتهى كلام الغَزالي.

88 ــ الخَبير

معناه

هو العالِمُ بكلِّ شيءٍ، المُطَّلِعُ على حقيقته، قال الله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: 14]. وقد ورد هذا الاسم في (55) موضعاً من القرآن الكريم، وجاء في الحديث الشريف الجامع لأسماء الله الحسنى.

أقوال العُلماء

يقولُ الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ، في كتابه «المَقْصِد الأسنى في شرح أسماءِ اللَّهِ الحُسْنَى»: (الخَبيرُ هو الذي لا تعْزُبُ عنه الأخبارُ الباطِنَةُ، ولا يجري في المُلْكِ والمَلَكوتِ شَيْءٌ، ولا تَتَحرَّكُ ذرَّةٌ ولا تَسْكُنُ، ولا يضْطَرِبُ نَفَسٌ ولا يَطْمَئِنُ، إلَّا ويكونُ عندَه خَبَرُه.

وهو بمعنى العليم، لكنَّ العِلْمَ إذا أُضِيفَ إلى الخفايا الباطِنَةِ سُمِّيَ: خِبْرَةً، وسُمِّيَ صاحِبُها: خَبيراً.

حَظُّ العَبْدِ مِن ذلك أن يكونَ خبيراً بما يَجْري في عالَمِه، وعالَمُهُ قَلْبُهُ وبَدَنُه، والخفايا التي يتَّصِفُ القَلْبُ بها مِنَ الغِشِّ والخِيَانَةِ، والتِطْوافِ حَوْلَ العاجِلَةِ، واضمارِ الشَّرِّ، وإظهارِ الخَيْرِ، والتجميلَ بإظهارِ الإخلاصِ معَ الإفلاسِ عنه، لا يعرفها إلا ذو خِبْرَةٍ بالِغَةٍ، قد خَبَرَ نفسه ومارَسَها، وعَرَفَ مَكْرَها وتلبيسها وخِدَعَها، فحاذَرها، وتَشَمَّر لمُعاداتِها، وأخَذَ الحَذَرَ منها، فذلكَ من العَبيد جديرٌ بأنْ يُسَمَّى خبيراً). انتهى كلام الغزالي.

ويَقولُ الإمام مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «النهاية في غريب الحديث»: (في أسماءِ اللَّهِ تعالى الخبير، هو العالِمُ بما كانَ، وبما يكون، وبما سيكون. خَبَرْتُ الأمر أَخْبُرُه إذا عَرَفْتَه على حقيقته.

وفي حديث الحُدَيْبِيَة: «أنه ﷺ بَعثَ عَيْناً مِن خُزاعَة، يَتَخَبَّرُ به خَبَرَ قُريش»، أي يَتَعَرَّف، يُقالُ تَخَبَّرَ الخَبَر، واسْتَخْبَر: إذا سألَ عن الأخبار ليَعْرِفها). انتهى كلام ابن الأثير.

أقوال المُفسِّرين

قال الله تعالى: ﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشورى: 27]، أي لو أَعْطاهُم فَوْقَ حاجَتِهم مِن الرِزْقِ لَحَمَلَهُم ذلك على البَغْي والطُغيان مِن بَعْضهم على بعض، أشَراً وبَطَراً. وقال قتادةُ: (كان يُقالُ: خَيْرُ العَيْشِ ما لا يُلْهِيكَ، ولا يُطْغيكَ)، وذكر قتادَةُ حديث: **«إنما أخافُ عَليكُم ما يُخرِجُ اللَّهُ تعالى مِن زهرة الحَياةِ الدنيا»**، وسُؤَالُ السائِلِ: أيأتي الخَيْرُ بالشَّرِّ؟ الحديث.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ أي ولٰكن يرزُقُهم مِن الرِزْقِ ما يَخْتارُه مِمّا فيه صَلاحُهُم، وهو أَعْلَمُ بذلِكَ، فَيُغْنِي مَن يَسْتَحِقُّ الغِنَى، ويُفْقِرُ مَنْ يَسْتَحِقُّ الفَقْرَ، كما جاء في الحديث الذي أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «الأولياء»: **«إن مِن عِبَادِي مَن لا يُصْلِحُه إلاّ الغنى، ولو أَفْقَرْتُه لأَفْسَدْتُ عليه دينَه، وإنَّ مِن عبادِي مَن لا يُصْلِحُه إلا الفَقرُ، ولو أَغْنَيتُهُ لأَفْسَدْتُ عليه دينه»**.

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التوبة: 16]. يُقول تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ﴾، أيها المُؤمنون أن نَتْرُكَكُم مُهْمَلِينَ لا نَخْتَبِرُكُم بِأُمُورٍ يَظْهَرُ فيها أَهْلُ العَزْمِ الصَّادِقِ مِنَ الكاذِبِ، ولهٰذا قال: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾، أي إنَّ اللَّهَ يَبتَلِي المؤمنين دائماً بالأَعْداء امتحاناً واختباراً لهم، لِيُظهِرَ المؤمنينَ الصادِقين من المنافقين، أما المؤمنون فيظهر إيمانُهُم وَقْتَ الشدائد والمِحَن والابتلاء والاختبار، فَهُمُ الذين يثبتون ويُجاهِدُون أعداءَ الله بأموالهم وأنفسهم، وهٰذا أَمْرٌ ليس بالسهل على المنافِقين الذين لم يدخُل الإيمانُ قلوبَهم، وهم يَعيشُون مع المؤمنين، ويتظاهَرون بالإيمان، فيكشِفُ اللَّهُ نِفاقَهم دائماً بتسليط

الأعداء لِيَنْكَشِفَ المؤمِنُ مِنَ المنافِقِ، ويَميزَ اللَّهُ الخبيثَ من الطيِّب، ولهٰذا قال ﷺ في الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري في كتاب الصلاة مِن «صحيحه» (1/ 147)، باب ذكرِ العِشاءِ والعتَمَة، عن أبي هريرة ﷺ: «**أَثْقَلُ الصلاةِ على المنافِقين العِشاءُ والفَجْرُ**»، وذلك لأنهم في سائر أوقات الصلوات يتظاهَرُون بالإيمان، ويُسَايِرُون المؤمنين وهم مُرْتاحون، أما في هٰذين الوقتين فإنهم يَنْكَشِفون للمؤمنين بسبب عدم استطاعتهم على التظاهُر بالإيمان، لما يتطلبه ذلك مِن جُهْد وإرادة ومغالبة نفس، ولهٰذا لا يَقدِرُ عليه إلا من قَوِيَ الإيمانُ في نفسه، وصار هَواهُ تِبعاً لما جاء به النبي ﷺ من الهدى والحق.

ومِن صفات المؤمنين أيضاً أنهم لا يُصادِقُون، ولا يُوالُون أَعداءَ اللَّهِ، ولا يُجالِسُونهم ولا يؤاكِلونهم ولا يَثِقُونَ بهم، ولا يَنْضَمُّون لأحزابهم وجمعيَّاتهم ومؤسَّساتهم ومدارسهم ونواديهم ومحافلهم، ولا يَسْتعينون بهم في الوظائف والأعمال ولا يستشيرونهم، ولهٰذا قال تعالى: ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾، أي بطانةً ودخِيلَةً، بل هم في الظاهر والباطِن على النُصْح لِلَّهِ ولِرَسُولِهِ، وقد قالَ تعالى في الآية الأخرى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: 1 ـ 3]، وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٤٢﴾ [آل عمران: 142]، وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: 179] والحاصل أنه تعالى لمّا شرع لعباده الجهادَ بيَّن أن فيه حِكمةً، وهو اختبارُ عَبيده، مَن يُطيعه مِمَّن يعصيه، وهو تعالى العالم بما كان وما يكونُ، وما لم يكن لو كان كيف يكون، فيعلمُ الشيء قبل كونه، ومع كونه على ما هو عليه، لا إله إلا هو ولا ربّ سواه، ولا رادّ لما قدّره وأمضاه، فهو الخبير القدير.

89 ــ الشَهيد

معناه

الشهيدُ هو العَالِم بكُلِّ مَخْلُوقٍ عِلْمَ شُهودٍ وحُضُور، فلا يغيب عن عِلْمِهِ

شَيْءٍ قال اللَّهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [النساء: 33]، وقد ورد هٰذا الاسم في (20) موضعاً من القرآن الكريم، وفي الحديث الشريف الجامع لأسماء الله الحسنى.

أقوال العلماء

يقول الإمام حُجَّة الإسلام، وفيلسوف المسلمين المتكلّم الأصولي الفقيه الزاهد أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: «المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»: (الشهيد يرجع معناه إلى العليم، مع خصوص إضافة، فإنه تعالى عالم الغيب والشهادة، والغيبُ: عبارةٌ عمّا بَطَنَ، والشهادَةُ. عِبارَةٌ عما ظَهَرَ، وهو الذي يُشاهَدُ.

فإذا اعتُبِرَ العِلْمُ مُطلقاً فهو العليم، وإذا أُضيفَ إلى الغيبِ والأُمورِ الباطِنَةِ فَهُوَ الخَبيرُ، وإذا أضيفَ إلى الأمور الظاهِرَة فهو الشهيدُ.

وقد يُعْتَبَر مع هٰذا أن يشهد على الخلق يوم القِيامَةِ بما عَلِمَ وشاهَد منهم، والكلامُ في هذا الاسم يَقْرُبُ مِن الكلامِ في العليم والخبير) انتهى كلام الغزالي.

ويقول الإمام المُحدِّث اللغوي مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في كتابه «النهاية في غريب الحديث»: (في أسماء الله تعالى الشهيد: هو الذي لا يَغيبُ عنه شَيْءٌ، والشاهِدُ: الحاضِرُ، و(**فَعِيلٌ**) مِن أبنيَة المُبالَغَة في (**فَاعِل**) فإذا اعْتُبِرَ العِلْمُ مُطلقاً فهو العَليمُ، وإذا أضيفَ إلى الأُمورِ الباطِنَةِ فهو الخبير، وإذا أُضِيفَ إلى الأمور الظاهِرَة فهو الشهيد، وقد يُعتبر مع هٰذا أن يَشْهَدَ على الخلق يومَ القِيَامَةِ بما علم منهم.

ومنه حديث علي بن أبي طالب ﷺ: «**وشهيدك يوم الدين**»، أي شاهدك على أمته يوم القيامة. ومنه الحديث: الذي أخرجه الحميدي في «تفسير غريب ما في الصحيحين»: «**سَيِّدُ الأَيَّام يَوْمُ الجُمُعَةِ، وهو شاهِدٌ**»، أي: هو يَشْهَدُ لِمَن حَضَر صلاتَه، وقيل في قولهِ تعالى: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾ [البروج: 3]، إن الـ (**شاهِدَ**) يومُ الجمعة، والـ (**مشهود**) يَوْمُ عَرفَةَ؛ لأن الناسَ يشهدُونَهُ، أي يَحْضُرُونه ويجتمعون فيه.

ومنه حديث الصلاة: «**فإنها مَشْهُودَةٌ مَكْتُوبَةٌ**»، أي تَشْهَدُها الملائِكَةُ وتَكْتُبُ أجْرَهَا للمُصَلِّي.

ومنه حديث صلاة الفجر: «**فإنها مَشْهودَةٌ مَحْضُورَةٌ**»، أي: يَحْضُرها ملائكةُ الليل والنهار؛ هذه صاعِدَةٌ وهٰذه نازِلَةٌ.

ومنه الشهيد من المؤمنين، وفيه الحديث: «**المَبْطونُ شَهيدٌ، والغَرِقُ شَهيدٌ**»، قد تكرَّر ذكر الشهيد والشهادَة في الحديث، والشهيد في الأصل مَن قُتِلَ مُجَاهِداً في سبيل اللَّهِ، ويُجمع على شُهَداءَ، ثم اتُسِعَ فيه فأُطْلِقَ على مَن سَمَّاهُ النَّبيُّ ﷺ من المَبْطُونِ والغَرِقِ والحَرِقِ، وصاحِبِ الهَدْم، وذات الجَنْبِ وغيرهم، وسُمِّيَ شهيداً؛ لأنَّ اللَّهَ ومَلائِكَتَهُ شُهُودٌ له بالجنَّة، وَقيل: لأنَّه حَيٌّ لم يَمُت، كأنه شاهِدٌ، أي حاضِرٌ، وقيل: لأنَّ ملائكةَ الرحمةِ تَشْهَدُه، وقيل: لقيامِهِ بشَهَادَة الحقّ في أمْرِ اللَّهِ حتى قُتِلَ، وقيلَ: لأنَّه يَشْهَدُ ما أعَدَّ اللَّهُ لهُ مِن الكرامَة بالقَتْلِ، وقيل: غيرُ ذلك. فهو (**فَعِيلٌ**) بمعنى: (**فاعل**) وبمعنى: (**مفعول**) على اختلاف التأويل.

أقوال المفسّرين

قال اللَّهُ تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [آل عمران: 98، 99].

هذا تعنيفٌ مِنَ اللَّهِ تعالى لِلكفَرَةِ مِن أهْلِ الكتاب على عِنادِهِم للحقِّ، وكُفْرِهِم بآيات اللَّهِ، وصَدِّهِمْ عن سَبيلِ اللَّهِ مَن أرادَهُ مِن أهلِ الإيمان بِجَهْدِهِمْ وطاقَتِهِم، مع علمهم بأنَّ ما جاءَ به الرَّسُولُ حَقٌّ مِنَ اللَّهِ، وبما عندهم مِن العِلْم عن الأنبياءِ الأقدمين، والسادَةِ المُرْسَلِينَ صلواتُ اللَّهِ وسلامُهُ عليهم أجمعين، ومَا بشَّروا به ونَوَّهوا به من ذِكْر النَّبيِّ الأُمِّيِّ الهاشِمِيِّ العَرَبيِّ المَكِّيِّ سَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ، وخاتَمِ الأنبياءِ ورسولِ رَبِّ الأرضِ والسماءِ، وقد توعَّدَهُمُ اللَّهُ على ذلك، وأخبرهم بأنه شَهيدٌ على صنيعهم، ذلك بما خالَفُوا ما بِأَيْديهم عن الأنبياءِ، ومعامَلَتِهم الرسولَ المُبشَّر به بالتكذيبِ والجحودِ والعِنادِ، فأخبرَ تعالى أنه ليس

بغافل عما يَعْملون، أي وسَيُجازيهم على ذلك ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴿٨٨﴾﴾ [الشعراء: 88].

ثم قال تعالى مُحَذِّراً عِبادَه المؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران: 100، 101]، يُحَذِّر تبارك وتعالى عِبادَه المؤمنين أن يُطيعوا طائفةً مِن أهل الكتاب اليهودِ والنّصارى الذين يَحْسُدون المؤمنين على ما آتاهم اللَّهُ مِن فضله، وما مَنَحَهُم مِن إرسالِ رسُولِه، كما قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: 109]، وهكذا قال هنا: ﴿إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ ثم قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾، يعني: أن الكفْرَ بَعيدٌ منكم وحاشاكم منه، فإن آيات اللَّهِ مَعَكُم وهي تُتلى عليهم ليلاً ونهاراً، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُواْ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴿٨﴾﴾ [الحديد: 8].

وفي الحديث أن النبيَّ ﷺ قال لأصحابه يوماً: «**أيُّ المؤمنين أعجبُ إليكم إيماناً؟**» قالوا: الملائكة، قال: «**وكيف لا يؤمنون والوحيُ يَنْزِلُ عليهم؟!**» قالوا: فنحنُ، قال: «**وكيف لا تؤمِنون وأنا بين أظهُرِكم؟**»، قالوا: فأيّ الناس أعجبُ إيماناً؟ قال: «**قومٌ يَجيئُون مِن بعدِكم يَجدون صُحُفاً يؤمنون بما فيها**».

90 ــ المُحْصِي

معناه

هو الذي أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ بِعِلْمِهِ، فلا يَفُوتُه مِنها دَقِيقٌ، ولا يُعْجِزُهُ جَلِيلٌ، ولا يَشْغَلُه شَيْءٌ منها عمّا سِوَاه، أَحْصَى حَرَكاتِ الخَلْقِ وأنفاسَهُم، وما عَمِلُوهُ مِن حَسَنَةٍ، واجْتَرحُوهُ مِن سَيِّئَةٍ، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴿١٢﴾﴾ [يس: 12]، وقال تعالى: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: 6]. وقد ورد هٰذا الاسم بصيغة الفِعْل في القرآن الكريم في

خمسة مواضع، وجاء في الحديث الشريف الجامع لأسماء الله الحسنى.

أقوال العلماء

قال أبو منصور الأزهري في معجمه «تهذيب اللغة»: (فُلانٌ ذو حَصَى، أي ذُو عدد، وهو مِن الإحْصَاءِ، وفلانٌ حَصِيٌّ، وحَصِيفٌ، ومُـتَحْصٍ: إذا كان شديدَ العَقْل، وقال اللَّهُ ﷻ: ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: 28]، أي أحاط عِلْمُه باستيفاء عَدَدِ كلِّ شيء، وقال الفَرَّاء في قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [المزمّل: 20]، قال: علمَ أن لَن تحفظوا مَواقِيتَ الليلِ). انتهى كلام الأزهري.

وقال الإمام حُجَّةُ الإسلام وفيلسوفهُ النَظَّارُ المُتكَلِّمُ، الأصولي الفقيه أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ (ت 505 هـ) في كتابه «المَقْصِد الأسنى في شرح أسماء اللَّهِ الحسنى»: (المُحْصِي هو العالِمُ، ولكن إذا أُضيفَ العِلمُ إلى المعلومات مِن حيثُ يُحْصِي المعلومات ويَعدُّها ويُحيط بها سُمِّيَ إحصاءً، والمُحْصِي المُطْلَقُ هو الذي يَنْكَشِفُ في عِلْمِهِ حَدُّ كُلِّ مَعْلومٍ وَعَدَدُه ومَبْلَغُهُ.

والعَبْدُ إن أمكنه أَنْ يُحْصِيَ بعلمه بَعضَ المعلومات، فإنه يَعْجَز عن حَصْرِ أكْثَرِها. فَمَدْخَلُه في هٰذا الاسم ضعيفٌ كمدخله في أصْلِ صِفَةِ العلم)، انتهى كلامُ الغزالي.

وقال الإمام المُحدِّثُ اللغويُّ مجدُ الدين أبو السعادات المبارك ابن محمد ابن الأثير الجزري الشافعي (ت 606 هـ) في كتابه «النهاية في غريب الحديث»: (في أسماءِ اللَّهِ تعالى: المُحْصِي هو الذي أَحْصَى كلَّ شَيْءٍ بعلمه وأحاط به، فلا يفوتُه دقيقٌ منها ولا جَليلٌ، والإحْصَاء: العَدُّ والحِفْظُ.

ومنه الحديث المتفق عليه: «**إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وتسعين اسْماً مَن أَحْصَاها دَخَلَ الجَنَّةَ**»، أي مَن أحصاها عِلْماً بها وإيماناً، وقيل: أحصاها: أي حَفظَها على قَلْبه. وقيلَ: أرادَ مَنِ اسْتَخْرَجَها مِنْ كتابِ اللَّهِ تعالى وأحاديثِ رَسُولِهِ؛ لأن النبيَّ ﷺ لم يَعُدَّها لهم، إلّا ما جاءَ في روايةٍ عن أبي هريرة، وتكلَّمُوا فيها. وقيل: أرادَ

مَن أطاق العمل بمقتضاها، مِثْلُ مَن يَعْلَمُ أنه سَمِيعٌ بَصيرٌ، فيَكُفَّ لسانه وسَمْعه عَمَّا لا يجوز له، وكذلك باقي الأسماء. وقيل: أراد مَن أخطر بباله عند ذكرها معناها، وتفكَّر في مَدلولها مُعَظِّماً لِمُسَمّاها، ومُقَدِّساً مُعْتَبِراً بمعانيها، ومُتَدَبِّراً راغِباً فيها وراهِباً، وبالجُملَة ففي كل اسمٍ يجريه على لسانه يُخْطِرُ بِبالِهِ الوصْفَ الدالَّ عليه.

ومنه الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» في كتاب الصلاة، باب ما يُقال في الركوع والسجود، الحديث (1090): «**لا أُحْصِي ثَناءً عليك، أنتَ كما أَثْنَيتَ على نَفْسِك**» أي: لا أُحْصِي نِعَمَكَ، والثناءَ بها عليك، ولا أَبْلُغُ الواجبَ فيه.

وأخرج أيضاً في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ترتيل القراءة واجتناب الهَذِّ، الحديث (1905): «جاءَ رجلٌ يُقالُ له: نِهَيكُ ابنُ سِنان إلى عبد اللَّهِ بن مسعود فقالَ: يا أبا عبد الرحمٰن! كيفَ تقرأُ هٰذا الحرفَ؟ أَلِفاً تَجِدُهُ أَم ياءً: ﴿مِن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾ [محمد: 15]، أو من ماءٍ غيْرِ ياسِنٍ، فقالَ عبدُ اللَّهِ: وكُلَّ القُرآنِ أَحْصَيْتَ غَيْرَ هٰذا؟» أي حَفِظْتَ). انتهى كلام ابن الأثير.

أقوال المفسّرين

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: 12].

يقول تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، أي يومَ القيامة، وفيه إثبات البَعْث، وكذلك فيه إشارة إلى أن الله يُحْيِي قَلْبَ مَن يشاءُ من الذين ماتَت قلوبُهم بالضلالة، فيهديهم إلى الحق، كما قال تعالى بعد ذِكر قَسْوَةِ القلوب: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد: 17].

وقوله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟﴾ أي مِنَ الأعمال، وفي قوله تعالى: ﴿وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ﴾ قَوْلان: (**أحدُهما**): نكتبُ أعمالهم التي باشَروها بأنفُسِهم، وآثارهم التي آثروها مَن بَعْدَهُم، فنجزيهم على ذلك أيضاً، إنْ خَيْراً فَخَيْرٌ، وإنْ شَرّاً فَشَرٌّ، كقوله ﷺ في الحديث الذي أخرجه الإمام مُسْلِم في «صحيحه» بسنده إلى جرير

ابن عبد الله البَجَلِيّ ﷺ: «**مَنْ سَنَّ في الإسلام سُنَّةً حَسَنَةً كان له أجْرُها، وأجْرُ مَن عَمِلَ بها مِن بعده، مِن غيرِ أن يَنْقُصَ مِن أُجُورهم شيئاً، ومَن سَنَّ في الإسلام سُنَّةً سَيِّئَةً كان عليه وِزْرُها، ووِزْرُ مَن عمل بها مِن بَعْدِهِ مِن غيرِ أن يَنقُصَ مِن أوزارهم شَيْءٌ**»، وأخرج أيضاً، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا ماتَ ابنُ آدَمَ انقطع عَمَلُه إلاّ مِن ثلاثٍ: مِن عِلْمٍ يُنتَفَعُ به، أو ولدٍ صالِحٍ يَدْعُو له، أو صدَقَةٍ جارِيَةٍ مِن بَعده**». **(والقول الثاني)** أنّ المُرادَ بذلك آثارَ خُطاهم إلى الطاعَةِ أو المعْصِيَة. قال مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا قَدَّمُوٓاْ﴾ قال: أعمالهم ﴿وَءَاثَـٰرَهُمْ﴾، قال: خُطاهم بأرجُلهم.

وقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾، أي وجميعُ الكائناتِ مكتوبٌ في كتاب مَسْطُورٍ مَضْبوطٍ في لوحٍ محفوظ، والإمامُ المُبِينُ ههنا هو أمُّ الكتاب، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: 71]، أي بكتاب أعمالهم الشاهِدِ عليهم بما عملوه مِن خير أو شرّ، وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: 49].